غـزوة الأحـزاب
وقـوة الامتحـان

دكتور

محمد بن عبد العزيز بن محمد العواجى

الأستاذ المساعد بقسم كلية القرآن الكريم

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

مجلة كلية دار العلوم العدد الخامس عشر - يونيو ٢٠٠٦

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

غـزوة الأحـزاب وقـوة الامتحـان

د. محمد بن عبد العزيز بن محمد العواجى

الأستاذ المساعد بقسم كلية القرآن الكريم

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

١٤٢٧هـ

المقدمة

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ [سورة الكهف: ١-٢].

الحمد لله الذي خلق بيده البشر، وصرّف بحكمته وقدّر، وأنزل الفرقان على خير البشر، فأحلَّ وحرم، وأباح وحظر، وصلى الله وسلم على نبينا محمد النبي الأبر، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، الذي ابتلاه ربه في بداية الدعوة بمداراة من كفر فدخل في دار الأرقم واختفي واستتر حتى أعز الله الدين برجال كأبي بكر وعمر، صلى الله عليه وعلى آل بيته الميامين الغرر وعلى الصحب الكرام ومن تبعهم على السنة والأثر.

في سورة الأحزاب يعرض الحق سبحانه وتعالى لنا حدثاً من الأحداث العظام في تاريخ الإسلام وفي تاريخ الدعوة الإسلامية، ويصف هذا الحدث موقفاً من أعظم مواقف الابتلاء والتمحيص في صف الأمة الإسلامية، ويكشف عن القلوب المريضة ويحدثها بما في قلوبها من مرضها ونفاقها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثم يعرض لنا سبحانه وتعالى نتائج ذلك الحدث العظيم والاختبار المبين، ليوقفنا على حقائق مهمة يجب أن تكون موجودة عند أصحاب الدعوات ليلتزموا المنهج القويم في حياتهم كلها، وخصوصاً في سيرهم في الدعوة وتبليغ دين الله.

هذا الحدث العظيم هو: (غزوة الأحزاب) [1]، التي كانت فتحاً عظيماً للدعوة الإسلامية الناشئة، وبداية مرحلة جديدة من مراحل الدعوة إلى الله في العهد المدني.

ففي هذا البحث نقف عند أحداث تلك الغزوة من خلال العرض القرآني لها لنأخذ العظة والعبرة، ولتكون نبراساً لنا في دعوتنا وفي نشر دين الله تعالى للعالمين.

منهجية البحث:

وكان منهج كتابة هذا البحث مختصراً في النقاط التالية:

- الرجوع إلي كتب التفسير وغيرها.
- الحرص على إيراد الروايات الصحيحة في تفسير الآيات وفي أسباب النزول.

---

(١) الحزب: جماعة الناس، والجمع أحزاب، وحزب الرجل: أصحابه وجنده الذين على رأيه، وكل قوم تشاكلت قلوبهم وأعمالهم فهم أحزاب، والأحزاب هنا: جنود الكفار تألبوا وتظاهروا على حزب النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهم قريش وغطفان وبنو قريظة.

انظر: لسان العرب (١/٣٠٨).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- حاولت عرض المعنى الإجمالي للآيات ثم التركيز في المعنى على الفوائد العملية، مع عدم إيراد أي معلومة لا ينبني عليها فائدة عملية.

- محاولة ربط الواقع الدعوى الأول بالواقع الدعوي الحاضر.

- حرصت قدر الجهد على التزام الموضوعية في هذا البحث حسب ما ذكره العلماء في هذا الشأن وما قسّموه من أقسام.

- حاولت تبيين بعض الكلمات الغريبة.

خطة البحث:

قسمت خطة البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة على النحو التالى الفصول التالية:

المقدمة: تضمنت منهجية البحث وخطته.

الفصل الأول: أحداث الغزوة، وقد تضمن تمهيدا ومبحثين:

التمهيد: حديث القرآن عن غزوة الأحزاب

المبحث الأول: تأملات في آيات سورة الأحزاب.

المبحث الثاني: أحداث الغزوة.

الفصل الثاني: قوة الابتلاء والامتحان، وقد تضمن أربعة مباحث:

المبحث الأول: يصف الله تعالى شدة المعركة بعدة صور.

المبحث الثاني: الابتلاء كان بعدة أمور.

المبحث الثالث:دور المنافقين في الإرجاف بين المؤمنين في المعركة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الرابع:ذكر صفات المنافقين في الآيات.

الفصل الثالث: **نتيجة الامتحان**، وقد تضمن أربعة مباحث:

المبحث الأول: الاقتداء بالنبي -صلى الله عليه وسلم- وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:بماذا نقتدي برسول الله من خلال الغزوة؟

المطلب الثاني:الرسول -صلى الله عليه وسلم- القائد.

المطلب الثالث: صفات الذين يقتدون برسول الله صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني: تَمَيُّزُ الصف.

المبحث الثالث: نتيجة الصبر والبلاء.

المبحث الرابع: نتيجة الغدر.

ثم ختمت بخاتمة ذكرت فيها أهم نتائج البحث وبعض التوصيات من هذه النتائج.

ثم وضعت قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في البحث.

والله سبحانه أسأل أن ينفع به وأن يجبر التقصير ويغفر الذنب، وأن يرزقني الإخلاص في القول والعمل، وأن يجعل هذا العمل حجة لي يوم القيامة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الأول

أحداث الغزوة

تمهيد في: حديث القرآن عن غزوة الأحزاب

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴿١١﴾ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ﴿١٢﴾ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ﴿١٣﴾ وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ لَأٓتَوۡهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرٗا ﴿١٤﴾ وَلَقَدۡ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلۡأَدۡبَٰرَۚ وَكَانَ عَهۡدُ ٱللَّهِ مَسۡـُٔولٗا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

﴿١٦﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا
لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٧﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ
أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٨﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ
لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٩﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ
ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى
يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ
حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ
وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٢٠﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن
يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ
أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ
فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ
ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا
ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

﴿٢٢﴾ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن
قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ
ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ
ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ
يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا
﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ
فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ
أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ
كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الأول

تأملات في آيات غزوة الأحزاب

يبدأ ربنا في وصف الغزوة لنا في القرآن بعرض شدة الامتحان الذي واجهه المسلمون ورسول الله في تلك الغزوة، فيقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴾.

فقد تكالب عليهم أهل الكفر من كل مكان، وحاصروهم حصاراً شديداً قال تعالى: ﴿إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ۝١١﴾ ولكن بسبب ثبات المؤمنين وصبرهم، ويقينهم بوعد الله، جعل الله سبحانه وتعالى لهم بعده نصراً وفتحا كبيراً.

ولأن الشيطان تعهد لرب العالمين بإضلال بني آدم وإغوائهم، فقد ظهر هذا الأثر في غزوة الأحزاب، إذ ذكر الله صورة وحال وفعل وقول الضالين في هذا السبيل بأقبح صورة ليستحضرها العبد المؤمن وينفر منها ومن حالهم وأفعالهم بل وأقولهم ولا يستجيب لإغراء الشيطان وتزيينه للعبد عند الامتحان، قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ
يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ
يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾
وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟
بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ
ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن
فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ
مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً
ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ
ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ
ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ
يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا
ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم
بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم
مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾﴾.

وفي مقابل هؤلاء الذين أغواهم الشيطان، هناك فئة قد تجنبت الغواية وسلكت سبيل ربها، فوصف الله بصورة مهيبة حال المؤمنين وما بلغ بهم من شدة البأس والضر والخوف والحزن والجوع، لكن ذلك لم يخرجهم عن أمر الله وطاعته بل زادهم إيماناً، حتى لا تكل نفوس المؤمنين بعد ذلك من الصبر والدعاء والثبات، فأصبحوا كالجبال الراسيات لا يضرها الهواء والعواصف ولا الرعود والأمطار، بل تحولها إلى جمال باهر وكذلك المؤمنون الصادقون لا يزيدهم البلاء إلا صبراً وثباتاً بما هم عليه من الحق، ولذا يحول الله لهم الحق فتحاً ويزيدهم من فضله، وهو الغني عنهم سبحانه وتعالى إنما يبتليهم ليكرمهم وليرفع قدرهم في الدنيا ودرجاتهم في الآخرة، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ
كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ
ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا
مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا
وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ
فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثم يذكر الله تعالى مصير هؤلاء ومصير هؤلاء، قال تعالى: ﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾.

وأيضاً ذكر الله تعالى ما حصل للغادرين والخائنين من يهود بقوله: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾.

فبعد الشدة والامتحان يأتي النصر والاستخلاف في الأرض، ولكن لا بد من الابتلاء قبل التمكين، وذلك ليعتبر المؤمن بالله ويسلك سبيل الناجين بالاقتداء بهم في أوصافهم وأفعالهم وأقوالهم، وليكونوا نموذجاً يُقتدى به من أراد النجاة لنفسه في الدنيا والآخرة، ولتكون صورتهم حاضرة في الذهن فتكون تلك الصورة خير معين له على اتخاذ الموقف الصائب والقرار السليم وشرب الدواء الناجح بإذن الله تعالى وحوله.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولتتأمل هذا المعنى أكثر ؛ تأمل الآيات واقرأها مرة بعد أخرى.

فسبحان من أودع هذه المعاني العظيمة التي يعجز القلم عن التعبير عنها، والنفس تعجز عن وصفها في هذه الكلمات والجمل المعدودات، إنها نقش في جدار الزمن تشهد لمحمد -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه الكرام الأطهار بالصدق والإيمان والثبات، نسأل الله أن لا يحرمنا الحشر في زمرتهم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثاني

سرد أحداث الغزوة

زمن الغزوة:

وقعت غزوة الأحزاب في شوال من السنة (الخامسة من الهجرة) وهو قول جمهور العلماء[٢].

سبب الغزوة:

تعتبر غزوة الأحزاب حلقة من حلقات الصراع العسكري بين المسلمين وقريش، فالحرب معلنة بين الطرفين، وجاءت غزوة الأحزاب على إثر إخفاق قريش في تحرير طرق تجارتها إلى الشام في غزوة أحد، فقد أوقع المشركون خسائر بالمسلمين في أحد، لكنهم عجزوا عن القضاء عليهم أو دخول بلدتهم، وظلت طرق التجارة القرشية مهددة، ونشطت سرايا المسلمين وغزواتهم بعد أحد حتى محت آثار أحد في المدينة والبوادي معاً، فكانت قريش تفكر بالقيام بعمل عسكري يحسم الموقف لصالحها بالقضاء على المسلمين في المدينة قضاءً مبرماً، ونظراً لأن قوة قريش وحدها لا تكفي لإنجاز المهمة فقد سعت قريش للتحالف مع الآخرين لحرب المسلمين، وجاءت الفرصة المواتية عندما أجلى الرسول صلى الله عليه وسلم يهود بني النضير من المدينة"[٣].

---

(٢) انظر: سيرة ابن هشام(٣/٢١٤)، والبداية والنهاية(٤/٩٣)، والسيرة النبوية الصحيحة(٢/٤١٨)، ومرويات غزوة الخندق(٦٣-٦٧).

(٣) السيرة النبوية الصحيحة (٢/٤١٨- ٤١٩).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"ذهب نفرٌ من يهودٍ منهم سلام بن أبي الحقيق النضري، وحيي بن أخطب النضري، وهم من الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا على قريش في مكة، فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم-، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله. فقالت لهم قريش: يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه ؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه.

فهؤلاء اليهود هم الذين أنزل الله تعالى فيهم:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾[سورة النساء:٥٠].

فلما قالوا ذلك لقريش سرَّهم ونشطوا لماَ دعوهم إليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتواعدوا له.

ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا قبيلة غطفان فدعوهم إلى حرب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك، فاجتمعوا معهم"(٤).

---

(٤) انظر: جامع البيان (١٢٩/٢١)، وتفسير ابن كثير (٤٠٧/٣) والبداية والنهاية (٩٤/٤)، وسيرة ابن هشام (٢١٤/٣- ٢١٥)، وتاريخ الطبري (٥٦٥/٢)، وفتح الباري في المغازي(٣٩٣/٧).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولتتأمل هذا المعنى أكثر ؛ تأمل الآيات واقرأها مرة بعد أخرى.

فسبحان من أودع هذه المعاني العظيمة التي يعجز القلم عن التعبير عنها، والنفس تعجز عن وصفها في هذه الكلمات والجمل المعدودات، إنها نقش في جدار الزمن تشهد لمحمد -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه الكرام الأطهار بالصدق والإيمان والثبات، نسأل الله أن لا يحرمنا الحشر في زمرتهم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثاني

سرد أحداث الغزوة

زمن الغزوة:

وقعت غزوة الأحزاب في شوال من السنة (الخامسة من الهجرة) وهو قول جمهور العلماء[٢].

سبب الغزوة:

"تعتبر غزوة الأحزاب حلقة من حلقات الصراع العسكري بين المسلمين وقريش، فالحرب معلنة بين الطرفين، وجاءت غزوة الأحزاب على إثر إخفاق قريش في تحرير طرق تجارتها إلى الشام في غزوة أحد، فقد أوقع المشركون خسائر بالمسلمين في أحد، لكنهم عجزوا عن القضاء عليهم أو دخول بلدتهم، وظلت طرق التجارة القرشية مهددة، ونشطت سرايا المسلمين وغزواتهم بعد أحد حتى محت آثار أحد في المدينة والبوادي معاً، فكانت قريش تفكر بالقيام بعمل عسكري يحسم الموقف لصالحها بالقضاء على المسلمين في المدينة قضاءً مبرماً، ونظراً لأن قوة قريش وحدها لا تكفي لإنجاز المهمة فقد سعت قريش للتحالف مع الآخرين لحرب المسلمين، وجاءت الفرصة المواتية عندما أجلى الرسول صلى الله عليه وسلم يهود بني النضير من المدينة"[٣].

---

(٢) انظر: سيرة ابن هشام(٣/٢١٤)، والبداية والنهاية(٤/٩٣)، والسيرة النبوية الصحيحة(٢/٤١٨)، ومرويات غزوة الخندق(٦٣-٦٧).

(٣) السيرة النبوية الصحيحة (٢/٤١٨- ٤١٩).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"فذهب نفرٌ من يهود منهم سلام بن أبي الحقيق النضري، وحيي بن أخطب النضري، وهم من الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا على قريش في مكة، فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم-، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله. فقالت لهم قريش: يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما اصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه ؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه.

فهؤلاء اليهود هم الذين أنزل الله تعالى فيهم:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾[سورة النساء:٥١].

فلما قالوا ذلك لقريش سرَّهم ونشطوا لماَ دعوهم إليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتواعدوا له.

ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا قبيلة غطفان فدعوهم إلى حرب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك، فاجتمعوا معهم"(٤).

---

(٤) انظر: جامع البيان (١٢٩/٢١)، وتفسير ابن كثير (٤٠٧/٣) والبداية والنهاية (٩٤/٤)، وسيرة ابن هشام (٢١٤/٣- ٢١٥)، وتاريخ الطبري (٥٦٥/٢)، وفتح الباري في المغازي(٣٩٣/٧).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن في بني فزارة، والحارث بن عوف من بني مرة، ومسعر بن رخيلة فيمن تابعه من قومه من أشجع.

موقف المسلمين من تحركات الأحزاب:

لما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بضرب الخندق على المدينة بعد أن أشار عليه سلمان الفارسي -رضي الله عنه- بذلك ؛ فعمل فيه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وعمل معه المسلمون فيه. وأبطأ عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعن المسلمين في عملهم ذلك رجال من المنافقين، وجعلوا يورون بالضعيف من العمل، ويتسللون إلى أهليهم بغير علم من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا إذن، وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة من الحاجة التي لا بد منها يذكر ذلك لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ويستأذنه في اللحوق بحاجته فيأذن له، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله رغبة في الخير واحتسابا له، فأنزل الله في أولئك المؤمنين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة النور: آية ٦٢].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثم قال تعالى عن المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل، ويذهبون بغير إذن من النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة النور: الآية ٦٣][٥]

وصول الأحزاب المدينة:

لما فرغ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة[٦]، في **عشرة آلاف** من أحابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة.

وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمي[٧] إلى جانب أحد[٨].

---

(٥) انظر: سيرة ابن هشام (٣/٢١٦)،

(٦) مجمع الأسيال من رومة: أرض بالمدينة بين الجرف والغابة نزلها المشركون عام الخندق، انظر: معجم البلدان لياقوت(٣/١٠٤).

(٧) ذنب نقمي: موضع من أعراض المدينة كان لآل أبي طالب قريب من أحد. انظر: معجم البلدان لياقوت(٥/٣٠٠).

(٨) السيرة النبوية (٢/٢١٥)، وجامع البيان (٢١/١٢٩-١٣٠).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع[٩] في ثلاثة آلاف من المسلمين ؛ فضرب هناك عسكره والخندق بينه وبين القوم،وأمر بالذراري والنساء فجعلوا في الحصون.[١٠]

غدر وخيانة يهودية:

وخرج عدو الله حيي بن أخطب النضري حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم. وكان قد وادع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن قومه، وعاقده على ذلك وعاهده، فلم يزل حيي بكعب حتى سمع له - على أن أعطاه عهداً وميثاقا: لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك. فنقض كعب بن أسد عهده، وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم[١١].

ابتلاء وتمحيص للصف المسلم:

وعظم عند ذلك البلاء، واشتد الخوف ؛ وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم، حتى ظن المؤمنون كل ظن، حتى قال أحد المنافقين:كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط ! وحتى قال أحد المنافقين أيضا: يا رسول الله، إن بيوتنا عورة من العدو - وذلك عن ملأ من رجال قومه - فأذن لنا أن نخرج فنرجع إلى

---

(٩) سلع: موضع بقرب المدينة وقيل جبل بالمدينة. انظر: لسان العرب (١٦٠/٨).

(١٠) السيرة النبوية (٢١٥/٢)،

(١١) السيرة النبوية (٢١٥/٢)، وجامع البيان (١٢٩/٢١-١٣٠).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دارنا، فإنها خارج من المدينة. فأقام رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قريبا من شهر لم تكن بينه وبينهم حرب إلا الرميّ بالنبل والحصار.

رحمة وثبات:

لما اشتد على الناس البلاء أراد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يبعث إلى عيينة بن حصن وإلى الحارث ابن عوف - وهما قائدا غطفان - لإعطائهما ثلث ثمار المدينة، على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه، فلما أراد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يفعل ذلك بعث إلى سعد بن معاذ سيد الأوس، وسعد بن عبادة سيد الخزرج فذكر ذلك لهما، و استشارهما فيه، فقالا له:يا رسول الله، أمراً تحبه فنصنعه ؟ أم شيئا أمرك الله به لا بد لنا من العمل به ؟ أم شيئا تصنعه لنا ؟ قال: (بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما). فقال سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قِرَى أو بيعاً. أفحين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا له، وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا!! والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فأنت وذاك). فتناول سعد بن معاذ الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتاب[١٢].

---

(١٢)السيرة النبوية (٢/٢١٥).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فيلق أمل:

أقام رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة، لتظاهر عدوهم عليهم، وإتيانهم من فوقهم ومن أسفل منهم، ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر أتى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت. فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إنما أنت فينا رجل واحد فخذِّل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة". وقد فعل حتى أفقد الأحزاب الثقة بينهم وبين بني قريظة في تفصيل مطول تحدثت عنه روايات السيرة ولا نذكره خوف الإطالة.

وخذل الله بينهم، وبعث الله عليهم الريح في ليلة شاتية باردة شديدة البرد. فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح أبنيتهم وخيامهم وما يتخذونه للطبخ من مواقد.

طاعة أثمرت النصر:

فلما انتهى إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما حصل من أمرهم، وما فرق الله من جماعتهم، دعا حذيفة بن اليمان، فبعثه إليهم لينظر ما فعله القوم ليلاً.

قال حذيفة: والله لقد رأيتنا؟ مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالخندق، وفي أحد الليالي التفت إلينا فقال: "من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ؟، ثم يرجع، أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة" فما قام رجل من القوم من شدة الخوف، وشدة الجوع، وشدة البرد. فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني. فقال: "يا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يصنعون، ولا تحدث شيئا حتى تأتينا". قال:فذهبت وفدخلت في القوم، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، ولا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناءً. فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش لينظر امرؤ من جليسه. قال حذيفة: فأخذت الرجل الذي كان إلى جنبي فقلت: من أنت ؟ قال: فلان ابن فلان ! ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام. لقد هلكت الخيل والجمال وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون. ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء. فارتحلوا فإني مرتحل... ثم قام إلى جمله وهو معقول، فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث. فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم. ولولا عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، إليّ (ألا تحدث شيئا حتى تأتيني)، ثم شئت لقتلته بسهم.

قال حذيفة: فرجعت إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو قائم يصلي، فلما سلم أخبرته الخبر، وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم.

وهكذا نصر الله جنده وهزم الأحزاب وحده"[١٣]

بعد هذا العرض الموجز لأحداث الغزوة يتضح لنا أمرٌ مهمّ جداً القصة من خلال الآيات والأخبار في قلوبنا، ألا وهو شدة ما لاقاه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وصحابته رضوان الله عليهم من البلاء والتعب والشدة في سبيل

---

(١٣) هذا الخبر نقلا عن السيرة النبوية لابن هشام (بتصرف).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إيصال هذا الدين لكل العالمين، وشدة المكر الذي يمكر به أعداء الإسلام لينالوا من هذا الدين.

ومن الأمور المهمة جداً التي تغرسها الآيات في قلوبنا، هو أنه لا بد أن يكون هناك ابتلاء وتمحيص للصف المسلم قبل أن يكون هناك تمكين للمسلمين ؛ لينالوا هذا النصر عن جدارة، ولا يناله كل مدعٍ متذبذب.

ومن هنا جاء الخبر الإلهي عن وصف ما لاقاه الرسول وصحابته من شده عظيمة وبلاء كبير في تلك الغزوة، ولكي نتعرف على شدة ما لاقاه النبي – صلى الله عليه وسلم– وصحابته من شدة، نعرض ما عرضه القرآن من تلك الصور التي صور الله لنا فيها حال المعركة وما كان فيها من شدة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثاني

قوة الامتحان

تمهيد:

الذي يبين لنا شدة هذا الامتحان هو العرض القرآني لبعض أحداث الغزوة وما حصل للمؤمنين من الابتلاء فيها، وهو كما يلي:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴾:

يبدأ الحديث عن حادثة الأحزاب بتذكير المؤمنين بنعمة الله عليهم، أن ردَّ عنهم الجيش الذي أراد أن يقضي عليهم، لولا إعانة الله تعالى المؤمنين وتثبيتهم، وإرسال جنوده على أعدائه.

"وكانت هذه الريح معجزة للنبي -صلى الله عليه وسلم- لأن النبي صلى الله عليه وسلم- والمسلمين كانوا قريبا منها، لم يكن بينهم وبينها إلا عرض الخندق وكانوا في عافية منها، ولا خبر عندهم بها، وبعث الله عليهم الملائكة فقلعت الأوتاد، وأطفأت النيران، وأكفأت القدور وجالت الخيل بعضها في بعض، وأرسل الله عليهم الرعب "(١٤)

---

(١٤) الجامع لأحكام القرآن (١٤/١٤٤).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ففي هذا البيان القرآني يصور الله تعالى بداية المعركة ونهايتهـــا، بأســـلوب يوحي بشدة الموقف الذي كان فيه المؤمنون، فنعمة النصر جاءت بعد شـــدة الابتلاء، وهذا النصر لم يكن منهم ولكن الله تعالى هو الذي أرسل جنودا من عنده بعد أن وقع المؤمنون في الاختبار، لكي يخرج الله من صف المؤمنين من كان في قلبه مرض، وهذا هو الذي ظهر.

ويتجلى ذلك في المباحث التالية:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الأول

يصف الله تعالى شدة المعركة بعدة صور

- **الصورة الأولى:** قال تعالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾:

فإن الأحزاب المشركين ومن تحالف معهم من القبائل ومن اليهود الذين خانوا العهد مع الرسول -صلى الله عليه وسلم- ودخلوا في الحرب مع المشركين - كانوا يحاصرون المسلمين من فوقهم ومن أسفل منهم،فكان الأحزاب يحاصرون المسلمين من أعلى المدينة من جهة الشام، وكان اليهود يحاصرون المسلمين من أسفل المدينة من جهة مكة.

كان الأحزاب من خارجها يغلقون جميع منافذها في ذلك الوقت ؛ واليهود من داخلها، والأحزاب واليهود وغير المسلمين ظاهراً ؛ والمنافقون من داخل المسلمين وفيما بينهم.

كان عدد الأحزاب عشرة آلاف مقاتل، وكان عدد المسلمين ثلاثة آلاف مجاهد. فالأحزاب ضعفا عدد المسلمين، فكان المسلمون يحسون بخوف شديد جداً، وحتى ندرك شدة ذلك الخوف وشدة الموقف الذي كان فيه المسلمون نستعرض الصورة الثانية من صور شدة المعركة:

- **الصورة الثانية:** ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" فالأبصار مالت فلم تلتفت إلا إلى عدوها دهشا من فرط الهول، وأما القلوب فمن شدة الهول يصفها بأنها زالت عن أماكنها من الصدور حتى بلغت الحناجر "[١٥].

" فهذا تعبير مصور لحالة الخوف والكربة والضيق، يرسمها بملامح الوجوه وحركات القلوب "[١٦].

ثم يأتي وصف آخر للحالة التي كان عليها الناس في هذا الموقف في الصورة التالية.

- **الصورة الثالثة:** قال تعالى: ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾:

" إن الله تعالى لم يُفصّل في تلك الظنون، ويدعها مجملة ترسم حالة الإضراب في المشاعر والخوالج، وذهابها كل مذهب، واختلاف التصورات في شتى القلوب "[١٧].

وعبر عن الظنون بالفعل المضارع ليدل على تجددها، فالشيطان يُخيّل إليهم في كل ساعة ما يؤدي بهم إلى سوء الظن بالله تعالى، ولما لم يستسلم المسلمون لذلك ولم يصرحوا به قولاً أو عملاً فكانت " هذه الظنون عبارة عن خواطر للمؤمنين لا يمكن للبشر دفعها، أما المنافقون فنطقوا بها "[١٨] ولذا لم يُؤاخذ بها من لم يُتبِعْهَا بعملٍ أو قولٍ.

---

(١٥) الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ١٤٤).

(١٦) في ظلال القرآن (٥/ ٢٨٣٧).

(١٧) في ظلال القرآن (٥/ ٢٨٣٧).

(١٨) المحرر الوجيز (١٢/ ٢٣).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثم يزيد القرآن في إبراز الموقف وشدته في الصورة الرابعة.

- **الصورة الرابعة:** قال تعالى: ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا ﴾:

" في هذا الوقت وهذه الشدة اُخْتُبِرَ المؤمنون ليتبين المخلص من المنافق، وكان هذا الابتلاء بالخوف والقتال والجوع والحصر والنزال "(١٩)

" إنها صورة الهول الذي روع المدينة، والكرب الذي شملها، والذي لم ينج منه أحد من أهلها، وقد أطبق عليها الأعداء من كل جانب، فلم يختلف الشعور بالكرب والهول في قلب عن قلب، وإنما الذي اختلف هو استجابة تلك القلوب، وظنها بالله، وسلوكها في الشدة، ولذلك كان التمييز بين المؤمنين والمنافقين حاسما لا تردد فيه "(٢٠).

وكان من أسباب ذلك الرعب والخوف الشديد أن يهود بني قريظة نقضوا العهد مع رسول الله ووقفوا مع الأحزاب كما ذكر ذلك من قبل، وكان بنو قريظة من خلف النبي -صلى الله عليه وسلم-، فلم يأمن المسلمون من أن ينقض عليهم المشركون من حولهم ويقتحمون الخندق، وأن يأتي اليهود من خلفهم غدراً وخيانة.

---

(١٩) الجامع لأحكام القرآن (١٤/١٤٦).

(٢٠) في ظلال القرآن (٥/ ٢٨٣٧).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- الصورة الخامسة: قال تعالى: في ختام الحديث عن الغزوة: ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا﴾. فوصف الله شدة الغيظ الذي تتضمله نفسيات العدو جميعاً، ولا شك أن هذا الغيظ والحنق الذي وصفه الله يرهب المقابل لهم -وهم المؤمنون - لاسيما مع ضعفهم وقلة حيلتهم والناصر لهم من البشر، لكن من توكل على الله كفاه ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا﴾.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثاني

الابتلاء كان بعدة أمور

ومن هنا نعلم أن الابتلاء الذي زلزل المؤمنين في تلك المعركة كان بعدة أمور:

١- كثرة عدد الأحزاب، وتنوع قبائلهم، ومناطقهم، وأغراضهم، وإتيانهم من كل مكان.

٢- الجهد الكبير الذي قام به الصحابة في حفر الخندق في أقل وقت ممكن.

٣- غدر وخيانة اليهود من بني قريظة وهم المخالطون والمساكنون للمسلمين في المدينة.

٤- شدة البرد وشدة الخوف، كما يصور ذلك حذيفة -رضي الله عنه- كما سبق، وكان مما قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع، يشترط له رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الرجعة- أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة" فمع هذا الشرط بالرجعة ومع الدعاء المضمون بالرفقة مع رسول الله في الجنة، فإنه لا أحد يلبي النداء، فلما أمر رسول الله حذيفة قال حذيفة: "فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني !!" وهذا كما رأينا في السيرة لا يحصل من الصحابة إلا في أقصى درجات الزلزلة.

٥- الجوع الشديد فقد كان الصحابة يربطون على بطونهم الحجر من شدة الجوع، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يربط على بطنه حجراً أو حجرين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: "إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة، فجاءوا النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالوا هذه كدية[٢١] عرضت في الخندق، فقال: أنا نازل ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا، فأخذ النبي -صلى الله عليه وسلم- المعول[٢٢] فضرب في الكدية، فعاد كثيبا[٢٣] أهيل أو أهيم[٢٤]، فقلت: يا رسول الله ائذن لي إلى البيت، فقلت لامرأتي: رأيت بالنبي -صلى الله عليه وسلم- شيئا ما كان في ذلك صبر فعندك شيء ؟ قالت عندي شعير وعناق[٢٥] فذبحت العناق وطحنت الشعير، حتى جعلنا اللحم في البرمة[٢٦]، ثم جئت النبي -صلى الله عليه وسلم- والعجين قد انكسر[٢٧]، والبرمة بين الأثافي[٢٨]، قد كادت تنضج، فقلت: طُعيم لي فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان. قال: كم هو؟ فذكرت له قال: كثير طيب. قال: قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور

---

(٢١) القطعة الشديدة الصلبة من الأرض. الفتح (٣٩٦/٧).

(٢٢) المعول:الفأس العظيمة التي ينقر بها الصخر، والجمع المعاول. مختار الصحاح (٤٦٣).

(٢٣) الكثيب: الرمل المستطيل المحدوب. النهاية في غريب الحديث(١٥٢/٤).

(٢٤) أي: صار رملاً يسل ولا يتماسك. الفتح (٣٩٧/٧).

(٢٥) العناق: الأنثى من الماعز. النهاية (٣١١/٣).

(٢٦) البرمة: القدر مطلقاً، وهي في الأصل المتخذة من الحجر المعروف بالحجاز واليمن. النهاية (١٢١/١).

(٢٧) انكسر: أي لان ورطب وتمكن منه الخمير. انظر الفتح: (٤٣٤/١١).

(٢٨) الأثافي: هي حجار ثلاث يوضع عليه القدر. مختار الصحاح(٨٤).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حتى أتى، فقال: قوموا، فقام المهاجرون والأنصار، فلما دخل على امرأته قال ويحك جاء النبي -صلى الله عليه وسلم- بالمهاجرين والأنصار ومن معهم!! قالت: هل سألك؟ قلت: نعم. فقال: ادخلوا ولا تضاغطوا[٢٩]، فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم، ويخمر[٣٠] البرمة والتنور إذا أخذ منه، ويقرب إلى أصحابه، ثم ينزع، فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا، وبقي بقية، قال: كلي هذا وأهدي فإن الناس أصابتهم مجاعة)[٣١].

٦- الحراسة الشديدة على الخندق خوف الاقتحام من الأحزاب جعل الصحابة لا يستطيعون أن يرتاحوا، فأعصابهم مشدودة متوقعين أي تخلخل.

٧- شدة حصار الأحزاب، فقد أغلقوا منافذ المدينة، وقطعوا حتى أهلها عن بساتينهم ومصالحهم فضلاً عن قطعهم عن العالم الخارجي.

٨- وقوعها بعد غزوة أحد، والتي لم يبق فيها بيت من بيوت الأنصار لم يُصب.

٩- وجود المنافقين في الصف الإسلامي وهم العدو الداخلي، وما كانوا يحدثونه من بلبلة وإرجاف بين المسلمين، ولذلك تحدث الله تعالى عن

---

(٢٩) فيه دليل على كثرتهم، ومعنى لا تضاغطوا: أي لا تتزاحموا.

(٣٠) يخمر: أي يغطي.

(٣١)صحيح البخاري كتاب المغازي باب (غزوة الخندق) (٤١٠١) من حديث جابر بن عبد الله، ومسند أحمد (٤٤/٣)، ومجمع الزوائد (باب بيان صفة حفر الخندق والمدة التي أصابتهم يوم الأحزاب) (١٣١/٦)، ومسند أبي عوانة (٣٥٠/٤).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دور المنافقين وموقفهم من ذلك الابتلاء، ومحاولتهم إضعاف المؤمنين وزيادة خوفهم والإرجاف بين الفئة المؤمنة في هذه الصورة بأبلغ بيانٍ ووصفٍ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثالث

دور المنافقين في الإرجاف بين المؤمنين في المعركة

لقد صدرت من المنافقين أقوالٌ وأعمالٌ كانوا يريدون بها الإرجاف والاستسلام لهؤلاء الأحزاب، وجر المؤمنين إلى ذلك الاستسلام، وحاشا وكلا أن يصدر من المؤمنين ما صدر من المنافقين.

فمن الأمور التي وقعت من المنافقين محاولةً لإضعاف المؤمنين:

١- توهين المسلمين والتشكيك في وعد الله لهم:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾:

ورد أن أحد المنافقين قال: [تعالى الله عمَّا يقولون وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم]: "كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يستطيع أن يذهب إلى الغائط"(٣٢). لأنهم قد سمعوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في هذه الشدة يبشر بكنوز كسرى وقيصر عند حفر الخندق.

"لقد وجد هؤلاء المنافقون في الكرب المزلزل، فرصةً للكشف عن خبيئة نفوسهم، وهم آمنون من أن يلومهم أحد، وفرصة للتهوين والتخذيل وبث الشك والريبة في وعد الله ووعد رسوله، وهم مطمئنون أن يأخذهم أحد بما يقولون.

---

(٣٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٨٨)، والسيرة النبوية لابن هشام (٣/٢٢٢).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فالحدث بظاهره يصدقهم في التوهين والتشكيك، وهم مع هذا منطقيون في أنفسهم ومشاعرهم كما زعموا، فالهول والبلاء قد أزاح عنهم الستار الرقيق من التجمل، وروع نفوسهم ترويعا لا يثبت له إيمان المهلهل! فجهروا بحقيقة ما يشعرون به غير مبقين لمعروف ولا متجملين.

ومثل هؤلاء المنافقين والمرجفين قائمون في كل جماعة وأمة، وموقفهم في الشدة هو موقف إخوانهم هؤلاء، فهم نموذج مكرر في الأجيال والجماعات والأمم على مدار الزمان»[٣٣].

٢- الدعوة إلى الاستسلام والتخاذل:

لم يكتف المنافقون بتوهين المسلمين بل كانوا يدعون المؤمنين إلى الاستسلام والتخاذل وترك القتال: قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ﴾: فالمنافقون كانوا يحرضون أهل المدينة (الأنصار) رضي الله عنهم ؛ على ترك النبي -صلى الله عليه وسلم- وترك حماية الخندق من اقتحام المشركين.

٣- التسلل من المعركة:

قال تعالى: ﴿ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ وقال تعالى في سورة النور: ﴿قَدْ

---

(٣٣) في ظلال القرآن (٥/ ٢٨٣٨) بتصرف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ [سورة النور: آية ٦٣]

وكان ذلك في هذه الغزوة.

وهذا التسلل والهروب بحجة أنهم يخافون على أهليهم في المدينة لأن بيوتهم معرضةٌ للخطر من قبل اليهود الذين خلفهم، ولكن يكشف الله في القرآن خبثهم وجبنهم وأنهم ما أرادوا إلا الفرار قال تعالى: ﴿ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾.

ولكن هنا الذي حصل منهم لم يحصل عفوياً أو خطأً غير مقصود في وقت واحدٍ، ولكن هذه هي صفاتهم في كلِّ زمانٍ قال تعالى: ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ [سورة النساء: آية ١٤٣]، ولذلك عرض الله في القصة بعض صفات المنافقين الثابتة فيهم والتي لن تتغير إلا أن يؤمنوا بالله إيماناً كاملاً حقيقياً.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الرابع

ذكر صفات المنافقين في الآيات

١- الشك والريب والوهن:

يصف القرآن هؤلاء المنافقين وما في قلوبهم من الشك والريب والوهن، والاستعداد للهروب في أي لحظة، من غير نظر في عواقب خروجهم، سواء عليهم أم على المؤمنين.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴾: "فهؤلاء المنافقون لو دخل عليهم الأعداء من كل جانب من جوانب المدينة، ثم سئلوا الفتنة، وهي الدخول في الكفر، لكفروا سريعا، فهم لا يحافظون على الإيمان ولا يستمسكون به مع أدنى خوف وفزع وهذا ذم لهم غاية الذم"(٣٤).

٢- نقض العهد والمواثيق:

يصفهم الله تعالى بنقض العهد، فيقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴾ "إن هؤلاء المنافقين عاهدوا الله على الثبات وعدم الفرار قبل مجيء الأحزاب، ولكنهم نقضوا العهد، فالله سبحانه يتوعدهم بأنه سيسألهم على الوفاء بهذا العهد

---

(٣٤) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٩٠).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويجازيهم عليه[٣٥]. بل إن عواقب خيانة العهد تظهر في الدنيا وتكون وخيمة وسيئة، وفي الأخرة لهم لواء خاص بمن خان العهد ونقض والعياذ بالله تعالى.

٣- الخوف من الموت والحرص على الحياة الدنيا:

يأتي السؤال: لماذا يفعل المنافقون كل هذا ؟!

إنهم يفعلون هذا خوفا من الموت وحرصا على الدنيا ؛ ولذا فإن الله تعالى يبين لهم قاعدة هامة في هذه الحياة، وسنة جارية لا يمكن أن تنمحي، يقول تعالى: ﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾.

أي: " أخبرهم أن فرارهم ذلك لا يؤخر آجالهم، ولا يُطَوِّلُ أعمارهم، بل ربما كان ذلك سبباً في تعجيل أخذهم غِرَّةً، فإنه لا يستطيع أحدٌ أن يمنعهم من الله تعالى "[٣٦].

---

(٣٥) من موضوعات سور القرآن (سورة الأحزاب ٦٠).

(٣٦) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٩٠).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد جاء ذلك بنوع آخر من البيان والتصوير لموقفهم في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾ [سورة آل عمران: آية ١٥٤].

" فإن الموت أو القتل قدرٌ لا مفر من لقائه في موعده، لا يستقدم لحظة ولا يستأخر، ولن ينفع الفرار في دفع القدر المحتوم عن فارٍ، فإذا فروا فإنهم ملاقون حتفهم المكتوب، في موعده القريب، وكل موعد في الدنيا قريب، وكل متاع فيها قليل، ولا عاصم من أمر الله، سواء أراد بهم سوءا أم أراد بهم رحمة، ولا مولى لهم ولا نصير، من دون الله يحميهم ويمنعهم من قَدَرِه"(٣٧).

٤- التخاذل والتنصل من المسئولية في موقف الشدة:

يصف الله المنافقين القاعدين عن الجهاد وحالهم في التخاذل والتنصل من المسئولية في موقف الشدة وتوهين المسلمين، فيقول تعالى:

﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾

" يخبر تعالى عن إحاطة علمه بالمعوقين لغيرهم عن شهود الحرب، والقائلين

---

(٣٧) في ظلال القرآن (٥/ ٢٨٣٩) بتصرف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لإخوانهم أي: أصحابهم وعشائرهم وخلطائهم تعالوا إلى ما نحن فيه من الإقامة في الظلال والثمار، وهم مع ذلك بخلاء بالمودة والشفقة عليكم جدا.

فالمنافقون إذا جاءهم البأس والشدة لا تجدهم!!! لأنهم يؤثرون الراحة على الشدة التي سيتبعها راحة أبدية في الآخرة، لكنهم نظروا للعاجل ونسوا العاقبة والنتيجة، فأعجبوا بملمس الحية !! ونسوا أن فيها حتفهم وهلاكهم، نظروا لزخرف الدنيا فانشغلوا به عن واجبهم وهدفهم، فاستدرجهم الشيطان -والعياذ بالله منه - وسيتبرأ منهم في الآخرة، كما تبرأ منهم لما رأى الملائكة ببدر.

٥- البخل بكل شيء:

﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ﴾ فهم بخلاء على المؤمنين في كل شيء، بخلاء على المؤمنين بأوقاتهم وأموالهم وأنفسهم، بخلاء أن يحفروا مع المسلمين، أو أن يقاتلوا معهم أو يحرسوا المدينة معهم، فهم لا يريدون أن يفدوا المسلمين بأي شيءٍ حرصاً منهم على الدنيا وخوفاً على أنفسهم.

٦- الجبن والخوف:

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ "وصفهم بالجبن؛ لأن الجبان ينظر يمينا وشمالا حذراً أن يأتيه الموت من أي جهة"[٣٩].

---

(٣٨) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٩٠).

(٣٩) الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ١٥٣).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فهم عند الخوف وعند الشدة يجبنون، ويظهر ذلك في تصرفاتهم وعلى ملامح وجوههم، ويصور الله منظرهم هذا بالذي ينظر في كل اتجاه خوفا من الموت والأذى، فالخائف ترى عليه آثار التوتر والنظر في كل مكان، وعدم الاستقرار.

٧- الأذية بالكلام:

﴿ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ "أي: بسطوا ألسنتهم الحادة القاسية فيكم، وآذوكم بكلامهم، وخاصة عند قسمة الغنائم، فهم أجبن الناس عند الحرب وأشجعهم عند الغنيمة"(٤٠)

"فإذا كان الأمن، تكلموا كلاما بليغا فصيحا عاليا، وادَّعَوا لأنفسهم المقامات العالية في الشجاعة والنجدة، وهم يكذبون في ذلك"(٤١)

٨- الشُّح في أمور الخير وما يعود نفعه على الآخرين:

قال تعالى:﴿ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ﴾ أي: بخلاء في الإنفاق والعمل في أمور الخير، بل ويبخلون عليه بأن يقوم الناس به ؛ فنفوسهم المريضة قد ضاقت بالخير ذرعاً، فلا يفعلونه ولا يتركون غيرهم يفعله فضلاً عن أن يدعوهم إلى فعله، فهذه الآية على وجازتها وصفتهم بأشد الشح والبخل المتأصل في القبح.

---

(٤٠) من موضوعات سور القرآن (سورة الأحزاب ٦١).

(٤١) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٩٠).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهذا النموذج من المنافقين لا ينقطع في جيل من الأجيال، فهو موجود دائما، وهو شجاع فصيح بارز حيثما كان هناك أمن ورخاء، وهو جبان صامت متوتر حيثما كان هناك شدة وخوف، وهو شحيح بخيل على الخير وأهل الخير، لا ينالهم منهم إلا سلاطة"[٤٢]

٩- عدم الإيمان بالله تعالى:

قال تعالى ﴿ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾:

"إنّ قلوبهم؛ لم تخالطها بشاشة الإيمان، ولم تهتد بنور الإيمان، ولم تسلك منهج الله تعالى، فهم لم ينجحوا لأن عنصر النجاح الأصيل ليس موجوداً عندهم"[٤٣] ولأنهم قد يظنون لأنفسهم حظوة عند الله كما قال زعماؤهم - في النفاق والحيل - اليهود والنصارى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ [سورة المائدة: آية ١٨]. بيّن الله لهم أن ذلك يسير عليه سبحانه فهو لا تنفعه طاعة المطيعين، بل هي لأنفسهم نجاة،ولا تضره سبحانه معصية العاصي، بل هي وبال على صاحبها - نسأل الله العفو والمغفرة.

---

(٤٢) في ظلال القرآن (٥/ ٢٨٤٠).

(٤٣) في ظلال القرآن (٥/ ٢٨٤١).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٠- شدة الهلع والاعتراض على القَدَر:

﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾﴾.

وهذا أيضا من صفاتهم القبيحة، الهلع الشديد حتى ليُخَيَّل لأحدهم أن عدوه أمامه من شدة فزعه وهلعه الذي تجاوز الحدود المعقولة والمتصورة، بل كما في الآية الأخرى ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [سورة المنافقون: آية ٤].

إنهم -ولسوء ظنهم بالله وشكهم _عياذاً بالله_ في قضائه وقدره، وإجلاباً من الشيطان عليهم- قد "أغرقوا أنفسهم في الجبن والخوف والخور فهم يظنون أن الأحزاب لم يذهبوا - وذلك بعد ذهابهم - وهم يتمنون أن لو جاءت الأحزاب أنهم لا يكونون حاضرين معكم في المدينة، بل في البادية يسألون عن أخباركم ؛ وما كان من أمركم، لأنهم لو كانوا معكم لم يقاتلوا إلا قليلا، وذلك لجبنهم وذلتهم وضعف يقينهم "(٤٤).

هنا يكرر الله تعالى صفة الجبن التي في قلوب هذه الفئة، وسبب هذا التكرار بالذات ؛ لأن فرارهم من المعركة وتذبذبهم وتوهين المسلمين كل هذا ناتج

---

(٤٤) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٩١).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عن الخوف الذي ملأ قلوبهم، فهو خوف على أنفسهم من الموت، وخوف على مصالحهم الشخصية، وأن يضيع عليهم حظ من حظوظ الدنيا.

فهذه هي صفات أهل النفاق في كل زمان ومكان، وفي كل حدث وبلاء، قوم لا تهمهم إلا مصلحتهم وشهواتهم ورغباتهم وحرصهم على الدنيا وخوفهم من الموت، نعوذ بالله من النفاق ومن أهل النفاق.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثالث

غزوة الأحزاب ونتيجة الامتحان

تمهيد:

قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾.

هذه الآيات تبين نتيجة الامتحان الذي وقع للأمة الإسلامية كمرحلة تنقية للفئة المؤمنة، لكي تكون على بصيرة بنفسها ومن معها من المنتسبين إلى هذا الدين.

ويقص الله لنا الحديث عن نتيجة الامتحان واضحاً، وسنجمل الكلام عليه في المباحث التالية:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الأول

الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم

قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ إن هذه الآية نص صريح في أن اكتساب النصر، وكسب رضا الرب سبحانه وتعالى مقترن - لابد- بالناس، وهي " عتاب من الله تعالى للمتخلفين عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وعن عسكره بالمدينة من المؤمنين به، يأمرهم أن يتأسوا به، ويكونوا معه حيث كان ولا يتخلفوا عنه، فإن من يرجو ثواب الله ورحمته في الآخرة لا يرغب بنفسه، ولكنه تكون له به أسوة في أن يكون معه حيث يكون هو "[٤٥].

وهذه الآية " أصل كبير في التأسي برسول الله -صلى الله عليه وسلم- في أقواله، وأفعاله، وأحواله، ولهذا أمر الناس بالتأسي بالنبي -صلى الله عليه وسلم- يوم الأحزاب، في صبره ومصابرته، ومرابطته ومجاهدته وانتظار الفرج من ربه عز وجل دائما "[٤٦].

فقد "كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على الرغم من هذا الهول المرعب والضيق المجهد، مثابة الأمان للمسلمين ومصدر زرع الثقة والرجاء

---

(٤٥) تفسير الطبري (١٩/٥٩).

(٤٦) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٩١).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والاطمئنان. وإن دراسة موقفه -صلى الله عليه وسلم- في الغزوة فيه أسوة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر "(٤٧)

فهذه الآية أصل في وجوب الاقتداء بالنبي -صلى الله عليه وسلم- في كل الأمور صغيرها وكبيرها، والآية في استدلالها بمسألة الاقتداء بعد الوصف الدقيق، تعاتب المؤمنين بأن الأصل هو الاقتداء، وهذا الموقف من أعظم المواقف التي يتباين الناس فيها ويمتحنون بالاقتداء، لاسيما مع وصف الله عظم الموقف وهوله.

فأول ما يجب على المسلم النظر فيه وتذكره -عند المواقف العظيمة والأمور النازلة - هو ماذا كان موقف النبي -صلى الله عليه وسلم- في مثل هذا الحدث الذي يعيشه ؟

وأول ما يجب على الدعاة والمصلحين والعلماء بثه في الناس في حال الخوف أو المصيبة أو تهيئة الناس لسُنَّةٍ ليعملوا بها، أو واجب ليقوموا به - هو التذكير بالاقتداء بالإمام الذي اصطفاه الله لهذه الأمة....

وهذا يتضمن النظر في ثلاثة مطالب:

---

(٤٧) في ظلال القرآن (٥/ ٢٨٤١).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المطلب الأول

بماذا نقتدي برسول الله -عليه السلام- من خلال الغزوة

- خرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعمل في الخندق مع المسلمين، يضرب بالفأس، ويجرف التراب، ويحمل التراب، وهو يقول: (اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجره)[٤٨].

وعن البراء -رضي الله عنه- قال: كان النبي -صلى الله عليه وسلم- ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنه أو غبر بطنه يقول:

والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الألى قد بغوا علينا ... وإن أرادوا فتنة أبينا

ورفع بها صوته أبينا أبينا)[٤٩] فعل ذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، لكي تقتدي به أمته في العمل لهذا الدين، مهما كان هذا العمل شاقاً، أو نظن أنه لا يناسب مستوى من يقوم به، فإن العمل شأن العامل ولا ينقص من قدر ذوي الأقدار والمهابة.

- عمل النبي -صلى الله عليه وسلم- مع أصحابه، وجعلهم يجدون في العمل والإصرار على النصر وأصبحوا يرددون (نحن الذين بايعوا

---

(٤٨) صحيح البخاري كتاب المغازي (باب غزوة الخندق) (٤٠٩٨)، وصحيح مسلم كتاب الجهاد والسير (باب غزوة الأحزاب) (١٨٠٤).

(٤٩) صحيح البخاري كتاب المغازي (باب غزوة الخندق) (٤١٠٦).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا) [٥٠] فسادت روح التعاون والأمل والتضحية من أجل الله وفي سبيل الله.

فهذا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قائد الأمة، الذي لو لم يحفر مع أصحابه لما لامه أحد ؛ لأن مهام القيادة والإمارة وتبليغ الرسالة مهام جسيمة تحتاج لتفرغ ومصالح كثيرة يقوم على تنظيمها وترتيبها، ولكن قدوتنا محمد -صلى الله عليه وسلم- دائماً حريص على كل خير، ويمشي في كل خير، فهذه هي القيادة المزيَّنة بالتواضع والرحمة وحب الخير.

- إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- موقن بنصر الله، يرى نصر الله ونور الفجر من بعيد في شدة سواد الليل ؛ لأنه موقن أن هناك فجرا، وبأن بعد العسر يسرا، وبأن وعد الله قائم لا محالة.

يري -صلى الله عليه وسلم- هذا الفجر وهذا النور وهو يضرب الصخرة القوية، ويخرج منها مثل الشرار المضيء من شدته في ثلاث ضربات، ويبشر الصحابة بذلك النور، وهذا النصر.

فعن البراء -رضي الله عنه- قال: " لما كان يوم الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ منها المعاول، فاشتكينا ذلك لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فجاء وأخذ المعول فقال: " بسم الله ثم ضربه ضربة، وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأنظر

---

(٥٠) صحيح البخاري كتاب المغازي (باب غزوة الخندق) (٤١٠٠)، وصحيح مسلم كتاب الجهاد والسير (باب غزوة الأحزاب) (١٨٠٥).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قصورها الحمر الساعة، ثم ضرب الثانية فقال: الله أكبر أعطيت فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن، ثم ضرب الثالثة، فقال: باسم الله فقطع بقية الحجر، فقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني)[٥١]

إنه اليقين الكبير والثقة العظيمة بالله، تخرج من رسول الله ببشرى يبثها قائدٌ لجنوده، وحاكمٌ لرعيته، وداعيةٌ إلى مدعويه، هذه هي القدوة وهذه هي الأسوة الحسنة من رسول الله التي يجب على كل عامل لهذا الدين ؛ بل على كل مسلم مستسلم لله أن تكون نصب عينيه، ولا يترك هذه القدوة إلى غيرها من القدوات التي إن كانت صالحة مؤمنة، فهي مأخوذة من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- إن طاعة الرسول -صلى الله عليه وسلم- والالتزام بأمره وتوجيهاته كان من أسباب النصر في هذه الغزوة، ويدل على ذلك طاعة حذيفة -رضي الله عنه- لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين بعثه يتحسس خبر القوم، قال حذيفة: "فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني !!" ثم قال حذيفة: قال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يصنعون، ولا تحدث شيئا حتى تأتينا قال:فذهبت فدخلت في القوم، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، ولا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناءً. فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش

---

(٥١) مسند أحمد (٣٠٣/٤)، وأوردها الحافظ ابن حجر في فتح الباري كتاب المغازي (باب غزوة الخندق) (٧/ ٤٥٨)،. وقال الحافظ ابن حجر؛ إسنادها حسن، وقد ورد الحديث بروايات أخري في كتب السنة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لينظر امرؤ من جليسه... إلى أن قال: ثم قام إلى جمله وهو معقول، فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث. فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم. ولولا عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، إلي ألا تحدث شيئا حتى تأتيني، ثم شئت لقتلته بسهم...)[٥٢].

فهكذا يجب أن نكون، مقتدين برسول الله -صلى الله عليه وسلم-، مؤتمرين بأمره، منتهيين عن نهيه، حذرين مما حذر منه، مستبشرين بما بشر به، مستنين بسنته، عاملين بمنهجه، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل: آية ٩٧] ويجب ألاَّ نكون مثل أولئك المنافقين الذين فروا وتخلفوا عن هذا المنهج، وهذه القدوة والأسوة الحسنة، فلا خير لهم في الدنيا، ولا في الآخرة قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [سورة طه: آية ١٢٤].

---

(٥٢) المستدرك على الصحيحين (٣/٣١)، والبداية والنهاية (٤/١١٣)، وقال الشيخ الألباني في تعليقه على فقه السيرة (٣٣٣،٣٣٤): هذه قصة صحيحة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المطلب الثاني

الرسول -صلى الله عليه وسلم- القائد

إن مما يبرز في هذا المقطع من الآيات أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- بشر، لا يخرج عن صفات بني جنسه، فلا يعلم الغيب، ولا يدافع عن نفسه إلا كما يدافع البشر عن أنفسهم وأراضيهم، فيحتاج لأخذ الأسباب، ودراسة الأمور، وحسن تقديرها وتدبيرها، مع التأني والحنكة، وقوة الشخصية، وإن كان مؤيداً من الوحي معصوماً فيما أرسل به فإن الله جعله نموذجاً بشرياً، ليقتدي به سائر الناس الذين يريدون العلو في الشأن، مع علو الأخلاق وحسن الإدارة، والنجاح في القيادة، ولذا اهتم بعض علماء الإدارة بدراسة شخصيته صلى الله عليه وسلم الإدارية والقيادية وكفى بها من مثل أعلى.

ففي هذا الموقف" تحدثت السورة أولاً عن بعض جوانب شخصية النبي -صلى الله عليه وسلم- العسكرية في ميدان الجهاد، فإذا نحن أمام قائد عسكري، أعطاه الله سبحانه كل الصفات العالية الرفيعة للقائد الذي يقود جنوده إلى النصر في أصعب المواقف وأشدها حرجا.

١- قائد لا يستبد برأيه، بل يستشير جنوده، ويأخذ برأي أحدهم عندما يراه حقاً مفيداً، وذلك مثل قصة سلمان الفارسي -رضي الله عنه- واقتراحه حفر الخندق-، وقصة رفض سعد -رضي الله عنه- لمصالحة غطفان.

٢- قائد متواضع يعمل كل أعمال القتال، من تحصين وحراسة، ومواجهة العدو، ويتحمل معهم كل مشقات القتال، من برد وجوع ونصب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣- قائد يبث في نفوس جنوده الثقة بنصر الله فيملأ قلوبهم حماس ويشد عزائمهم، ويثبت نفوسهم في مواقف تضطرب فيها القلوب وتتزلزل النفوس حتى تبلغ القلوب الحناجر.

٤- قائد ذو نظرة بعيدة وتفكير سديد، لا يدع فرصة أيا كانت إلا وهو يستفيد منها ليهزم أعداءه، حتى إنه لما جاءه نعيم بن مسعود مسلما، يعرض مساعدته على النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال له -عليه الصلاة والسلام-: " **إنما أنت فينا رجل واحد، فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة** "(٥٣).

٥- قائد قلبه موصول بالله، يأخذ أعلى أسباب الحيطة العسكرية، وفي الوقت نفسه يسأل الله النصر، متوكلا عليه سبحانه.

٦- قائد جمع بين صفتي الرحمة والحزم، الرحمة لأصحابه والشفقة عليهم، كما في قصة مصالحة غطفان، والحزم في قتل جميع رجال بني قريظة الذين نقضوا العهد."(٥٤)

---

(٥٣) صحيح البخاري كتاب الجهاد (باب الحرب خدعة) (٣٠٢٩)، وانظر: فتح الباري (٦/١٥٧-١٥٨) حيث قال الحافظ ابن حجر: ذكر الواقدي أن أول ما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- الحرب خدعة في غزوة الخندق.

(٥٤) من موضوعات سور القرآن (سورة الأحزاب ٨٠) بتصرف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المطلب الثالث

صفات الذين يقتدون برسول الله

ثم قال تعالى: ﴿ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾:

ولأن القائد الناجح هو من تتوفر فيه تلك الصفات المذكورة، فإن الطالب لتلك الصفات لابد من أن تتوفر فيه شروط القبول ليحظى بحسن الرعاية والتأهيل، ليكون قائداً وتلميذاً نجيباً لذلك القائد البارع، فالمتميزون في الحياة هم من تتوفر فيهم تلك الشروط ليحظوا بذلك التعلم والتربية ؛ ولذا أشاد الله تعالى لنا بتلك الصفات والشروط المطلوبة لنكون تلاميذ نجباء نتعلم من ذلك القائد البارع صلى الله عليه وسلم، ومن لم يحقق تلك الشروط فإنه لن يحظى بالنتيجة المرغوبة، ومن نقص منها ضعف من الجهة التي نقص فيها.

إن الذين يتأسون برسول الله حقيقة، ويستفيدون من أخلاقه وشمائله يتصفون بصفات خاصة، وهي هذه الصفات المذكورة في الآية:

١- ﴿ يَرْجُواْ ٱللَّهَ ﴾ أي: يرجو ثواب الله، فهم يتأسون به طلبا لثواب الله سبحانه، ولا يطلبون منفعة دنيوية، وإنما أملهم ورجاؤهم في رحمة الله وفضله.

٢- ﴿ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ ﴾ أي: يخافون يوم القيامة الذي فيه جزاء الإهمال، فهم يخشون عذاب الله سبحانه يوم القيامة، "

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فمعنى هذا أنهم يجمعون في قلوبهم بين صفتي الرجاء والخوف، فلا ييأسون من رحمة الله، ولا يأمنون من عذابه سبحانه"(٥٥).

٣- ﴿ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ أي: أكثر من ذكره سبحانه في كل أحواله وأوقاته، فلا يغفل عن الله سبحانه أبداً، ومن لم يغفل عن الله فإن الله لا يغفل عنه لحظةً، وقد جاء في نفس السورة في غير موضع منها التنبيه على ذكر الله كثيرا فقال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

قد رأينا عبر التاريخ من أعجب بمحمد -صلى الله عليه وسلم- منذ بعثته حتى يومنا هذا، بل ودرسوا شخصيته، وأجادوا في عرض ما أعجبهم منها لكن لتخلف الشروط المذكورة في الآية أو بعضها لم يؤمنوا فَحُرِموا -والعياذ بالله- من الاقتداء، وهكذا من نقص من تلك الصفات والشروط ممن آمن لكنه وقع في فتنة عمياء أو ضعف في إيمانه، ولذا فإنه قد حُرِم أيضاً من حسن الاقتداء به -صلى الله عليه وسلم-، فليكن من الفرقة الناجية التي وصفها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، نسأل الله الثبات على الحق إلى الممات.

---

(٥٥) من موضوعات سور القرآن (سورة الأحزاب / ٧٢).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثاني

تَمَيُّزُ الصف

فيما مضى من الآيات بين الله لنا حال المنافقين والذين في قلوبهم مرض والمرجفين في الصف الإسلامي الذي يعرض الصورة السيئة لما كان عليه هؤلاء المنافقون، ولكن هذه الشدة التي وقعت في غزوة الأحزاب لم تجعل كل الناس مثل هؤلاء المنافقين، بل كانت هناك صوراً وضيئةً وسط ذلك الظلام، هذه الصور كانت مطمئنة في وسط ذلك الزلزال، متمسكة بدينها في ذلك الابتلاء، وواثقة بنصر الله، في تلك الشدة، بعد كل ما كان من خوف وبلبلة واضطراب.

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾:

وهذا الإيمان والتسليم في الوقت الذي قال الله تعالى عنه: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهذا الإيمان والتسليم في الوقت الذي ظهر أصحاب النفاق يقولون: ﴿ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾.

ولكن أصحاب الإيمان والتسليم " اتخذوا من شعورهم بالزلزلة سببا في انتظار النصر ؛ ذلك لأنهم صدقوا قول الله سبحانه وتعالى من قبل: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [سورة البقرة: آية ١٤٠]

وها هم أولاء يزلزلون، فنصر الله إذن منهم قريب"(٥٦).

فهؤلاء الصحابة بشر من البشر ليسوا ملائكة ولم يطلب منهم أن يكونوا ملائكة، فهم يخافون، ويفزعون ويزلزلون، ولكنهم مرتبطين بالله وبسنن الله في الكون وبوعد الله تعالى، وهذا هو الفارق بينهم وبين المنافقين الذين خافوا وفزعوا وزلزلوا أيضا، ولكنهم ليس عندهم إيمان بالله ولا بوعد الله، فحصل منهم الهروب والتخاذل والتوهين والإرجاف.

وهكذا يتميز الخبيث من الطيب، ويتميز الدعاة من الأدعياء، وهكذا يتبين الصامدون من الكاذبون، وهكذا يتبين الذين بدلوا نعمة الله كفرا من الذين لم يبدلوا تبديلا، كل هذا يتبين ويتميز في مثل هذه الامتحانات والابتلاءات

---

(٥٦) في ظلال القرآن (٥/ ٢٨٤٣).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والشدائد. قال تعالى:﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[سورة العنكبوت: آية ٢-٣].

ولذا يقول الله تعالى واصفا هؤلاء الصادقين: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ هذا الوصف أيضا مقابل ذلك النموذج من المنافقين الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾﴾.

" لما ذكر عن المنافقين أنهم نقضوا العهد الذي كانوا عاهدوا الله عليه لا يولون الأدبار - وصف المؤمنين بأنهم استمروا على العهد والميثاق: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ أي: فمنهم من قضى أجله

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما قال بعضهم، ومنهم من ينتظر أجله"[٥٧]، والنحب "في لغة العرب: النذر ويقال أيضا: الموت"[٥٨].

﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ أي "وما غيروا عهد الله، ولا نقضوه ولا بدلوه"[٥٩].

فالمؤمنون صدقوا والمنافقون نقضوا، ولم يكن يُعلم حال المنافقين إلا من خلال هذه الامتحانات والابتلاءات.

وقد ورد عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- في سبب نزول هذه الآية قوله: عمي أنس بن النضر، سُمِّيْتُ به لم يشهد مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوم بدر، فشق عليه وقال: أول مشهد شهده رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وغبت عنه ؟! لئن أراني الله مشهدا فيما بعد مع رسول الله ليَرَيَن الله ما أصنع !! قال: فهاب أن يقول غيرها. فشهد مع رسول الله يوم أحد، فاستقبل سعد بن معاذ، فقال له أنس بن النضر: يا أبا عمرو، واهاً لريح الجنة أجده دون أحد، قال: فقاتلهم حتى قُتل،قال: فوُجد في جسده بضع وثمانون، من ضربه وطعنة ورمية، فقالت أخته: فما عَرَفْت أخي إلا ببَنَانِه، قال: فنزلت الآية: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ

---

(٥٧) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٩٢).

(٥٨) تفسير الطبري (١٩/ ٦١).

(٥٩) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٩٢).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ قال: فكانوا يرون أنها نزلت فيه، وفي أصحابه.(٦٠)

ثم يأتي السبب والجزاء من هذا التميز وهذا الاختبار:

قال تعالى: ﴿ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ أي: " إنما يختبر الله عباده بالخوف والزلازل ليميز الخبيث من الطيب، فيظهر أمر هذا بالفعل، ويظهر أمر هذا بالفعل كما قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ [سورة آل عمران: آية١٧٩]"(٦١).

---

(٦٠) صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير باب﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا﴾، وصحيح مسلم كتاب الإمارة (باب ثبوت الجنة للشهيد) (١٩٠٣).

(٦١) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٩٥).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثالث

نتيجة الصبر والبلاء

أرسل الله الريح على أعدائهم الأحزاب:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ ﴾

رجوع الأحزاب عن المسلمين:

قال تعالى:﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ﴾" الرد: الإرجاع إلى المكان الذي صدر منه، فإن ردهم إلى ديارهم من تمام النعمة على المسلمين، بعد نعمة إرسال الريح عليهم ؛ لأن رجوعهم أعمل في اطمئنان المسلمين"(٦٢).

"يقول تعالى مخبرا عن الأحزاب لماّ أجلاهم عن المدينة بما أرسل عليهم من الريح والجنود الإلهية، فقد سلط الله عليهم هواء فرق شملهم، وردهم خائبين خاسرين بغيظهم لم ينالوا خيراً لا في الدنيا ولا في الآخرة: ﴿ وَكَفَى ٱللَّهُ

---

(٦٢) التحرير والتنوير (٢١/٣١٠).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ﴾ فلم يحتج المسلمون إلى مبارزتهم ومنازلته حتى يجلوهم عن بلادهم بل كفاهم الله وحده، فنصر عبده وأعز جنده، ولهذا قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في دعائه على الصفا (لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده فلا شيء بعده)[٦٣]"[٦٤].

قال تعالى: ﴿ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ﴾ ولم يقل "لم ينالوا شيئاً" والفرق بين التعبيرين هو أن المسلمين أصابهم شيء ولكنه لم يكن الذي يريده المشركون.

"وقد بدأت المعركة وسارت في طريقها، وانتهت إلى نهايتها، وزمامها في يد الله تعالى، يصرفها كيف يشاء، وأثبت النص القرآني هذه الحقيقة بطريقة تعبيره، فأسند إلى الله تعالى إسناداً مباشراً كل ما تم من الأحداث والعواقب، تقريراً لهذه الحقيقة، وتثبيتا لها في القلوب"[٦٥].

وبهذا تحقق وعد الله للمؤمنين، وجرت سنة الله في الأولين والآخرين، ونصر الله أولياءه المؤمنين، وهزم الأحزاب واليهود والمنافقين، من المعتدين المشركين، والمغضوب عليهم الغادرين، والمنافقين المشككين، قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ

---

(٦٣) صحيح البخاري كتاب المغازي (باب غزوة الخندق) ٤١١٤، وصحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء (باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل) (٢٧٢٤) مع اختلاف في اللفظ.

(٦٤) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٩٦).

(٦٥) في ظلال القرآن (٥/ ٢٨٤٥).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾[سورة غافر: آية ٥١]، فلن يتوقف النصر في الدنيا فقط ولكنه في الدنيا والآخرة.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ أي:" لا يغالبه أحد إلا غُلب، ولا يستنصره أحد إلا غَلب، ولا يعجزه أمر أراده، ولا ينفع أهل العزة والقوة قوتهم وعزتهم، إن لم يعنهم الله بقوته وعزته"(٦٦).

---

(٦٦) تفسير السعدي (٦١٠).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الرابع

نتيجة الغدر

قال تعالى: ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾:

إن الهزيمة لم تكن للأحزاب من المشركين من مكة والقبائل التي تحزبت معهم فقط، بل كانت للغادرين من اليهود عليهم من الله ما يستحقون.

ومعلوم أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أول ما وصل إلى المدينة مهاجراً من مكة- عقد مهادنة مع يهود، أوجب لهم فيها النصرة والحماية مشترطاً عليهم ألا يغدروا ولا يفجروا، ولا يتجسسوا ولا يعينوا عدوا، ولا يمدوا يدا بأذى (٦٧).

ولكن اليهود أحسوا بخطر هذا الدين الجديد على مصالحهم- غير المشروعة، ومكانتهم - المزيفة، لمجرد أنهم أهل كتاب، فقد كانت لهم كلمة بين أهل المدينة خاصة وبين العرب عامة.

ولذا تآمروا على المكر برسول الله -صلى الله عليه وسلم- والمكيدة له، وابتدأت المعركة بين الإسلام واليهود من ذلك الوقت إلى وقتنا الحاضر،

---

(٦٧) يمكن أن تراجع وثيقة المعاهدة هذه في كتب السيرة، انظر مثلا: السيرة النبوية لابن هشام (مجلد ١و٢ص ٥٠١). وغيرها من كتب السيرة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بأساليب وأدوات مختلفة، وهذه هي عادة اليهود مع الأنبياء والمرسلين قبل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال تعالى عنهم: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [سورة البقرة: آية ٨٧].

فالغدر من اليهود قديم وليس بجديد، ولا ينتظر منهم إلا الغدر والخيانة والمكر، أعاذنا الله من شرورهم وكفانا إياهم.

وكانت أهم طوائفهم بالمدينة بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة، وكل طائفة منهم لها دور في المكر برسول الله وبدينه، وكان لها من الله الجزاء المناسب لفعلها في الدنيا وما عند الله لهم في الآخرة أشد.

وهنا سنتعرض لبني قريظة إذ هم الذين نزلت هذه الآيات في غدرهم وخيانتهم خلال معركة الأحزاب.

- كما في أحداث الغزوة أن الذي دعا لحرب رسول الله والقائم على الترويج لتلك الحرب هم اليهود، بزعامة سلام بن أبي الحقيق النضري، وحيي بن أخطب النضري[٦٨].

ولما وصلت الأحزاب إلى المدينة وفوجؤا بالخندق، ذهب حيي بن أخطب إلى سيد بني قريظة كعب بن أسد، فما زال به حتى نقض العهد، ومما قال له: "ويحك قد جئتك بعز الدهر، أتيتك بقريش وأحباشها وغطفان وأتباعها، ولا يزالون هاهنا حتى يستأصلوا محمداً وأصحابه، فقال له كعب: بل والله

---

(٦٨) تراجع القصة، في هذا البحث موضوع سرد أحداث الغزوة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أتيتني بذل الدهر، ويحك يا حيي إنك مشئوم فدعنا منك"[٦٩] فلم يزل به حتى نقض العهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد شق ذلك كثيراً على الرسول -صلى الله عليه وسلم- وعلى الصحابة معه ؛ لأنهم أصبحوا محاصرين من فوقهم ومن أسفل منهم، فلم يأمنوا على أنفسهم وأهليهم من خلفهم بسبب يهود بني قريظة.

وقد فرق الله بين قريش واليهود وجعل الله السبب في ذلك إسلام نعيم بن مسعود -رضي الله- عنه وتخذيله لهم[٧٠]، ونصر الله تعالى جنده وهزم الأحزاب وحده، ثم رجع رسول الله -صلى الله عليه وسلم للمدينة مؤيداً منصوراً.

فبينما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يغتسل من وعثاء تلك المرابطة في بيت أم سلمة -رضي الله عنها- إذ تبدى له جبريل، فقال: (أوضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال "نعم"، قال: ولكن الملائكة لم تضع أسلحتها، إن الله يأمرك أن تنهض إلى بني قريظة) فنهض رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من فوره، وأمر الناس بالمسير إلى بني قريظة،وذلك بعد صلاة الظهر، وقال: (لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة)[٧١]، ثم حاصر الرسول -صلى الله عليه وسلم- اليهود خمسة عشر يوماً، فلما طال عليهم الحال نزلوا على حكم سعد بن معاذ -رضي الله عنه- - سيد الأوس - فعند ذلك

---

(٦٩) السيرة النبوية لابن هشام (٣/٢٢٠)

(٧٠) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢٢٩)، والبداية والنهاية (٤/١١٣)، ولم نذكرها لعدم الإطالة.

(٧١) صحيح البخاري كتاب المغازي (باب غزوة الخندق) (٤١١٧).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دعاه النبي -صلى الله عليه وسلم- وكان في المدينة يُعَالَج من سهم أصيب به في الخندق، فجاءه اليهود: وقالوا يا سعد إنهم مواليك فأحسن فيهم، وهم يرققونه ويستعطفونه، وهو ساكت، فلما أكثروا عليه قال: "لقد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم" فلما وصل إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لأصحابه -رضي الله عنهم-: " قوموا إلى سيدكم " فلما جلس سعد -رضي الله عنه-، قال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إن هؤلاء -وأشار إليهم-، قد نزلوا على حكمك فاحكم فيهم بما شئت" قال: وحكمي نافذ عليهم ؟ قال: (نعم)، قال وعلى من في هذه الخيمة ؟ قال (نعم) فقال سعد -رضي الله عنه-: " إني أحكم أن تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذريتهم، وأموالهم " فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: " لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات" [٧٢]، ثم أمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالأخاديد[٧٣] فخدت في الأرض، وجيء بهم مكتفين، فضرب أعناقهم، وكانوا ما بين السبعمائة إلى الثمانمائة، وسبى النساء والأموال".[٧٤]

وهذه نتيجة الغدر، الاستئصال من هذه الدنيا، ولهذا يقول الله تعالى:

---

(٧٢) السيرة النبوية لابن هشام (٢٣٩/٣)، والبداية والنهاية (١٢٣/٤)، وأصله في صحيح البخاري كتاب المغازي (باب غزوة الخندق) (٤١٢١) من غير لفظ (من فوق سبع سماوات)، وصحيح مسلم كتاب الجهاد والسير (باب جواز قتل من نقض العهد) (١٧٦٩) ونحوه.

(٧٣) الأخدود: بالضم الحفرة في الأرض وجمعه أخاديد. انظر:لسان العرب(١٦٠/٣).

(٧٤) السيرة النبوية لابن هشام (٢٣٩/٣).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١- ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ ﴾

أي: إن الله تعالى أنزل الذين عاونوا الأحزاب وساعدوهم من يهود بني قريظة من حصونهم.

٢- ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾ " الرعب هو الخوف ؛ لأنهم عاونوا المشركين على حرب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فأخافوا المسلمين وأرادوا قتلهم ليعزوا في الدنيا، فانعكس عليهم الحال، فكما أرادوا العز ذلوا "(٧٥)

٣- "وأرادوا استئصال المسلمين فاستؤصلوا، وأضيف إلى ذلك شقاوة الآخرة، فصارت الجملة أن هذه هي الصفقة الخاسرة ؛ ولهذا قال الله تعالى ﴿ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ فالذين قتلوا هم المقاتلة، والأسراء هم الأصاغر والنساء "(٧٦).

٤- ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ ﴾ أي: جعلكم ترثون أرضهم وأموالهم وديارهم.

٥- وأورثكم ووعدكم ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ﴾، وهذه الأرض قيل: هي خيبر، وقيل: مكة، وقيل: فارس والروم، قال ابن جرير -رحمه الله-": يجوز أن يكون الجميع مراداً"؛ لأن كل هذه الأماكن ملكها

---

(٧٥) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٩٩).

(٧٦) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٩٩).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المسلمون إما في عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو في عهد الصحابة من بعده، وهذا فضل من الله ونعمة على عبادة الذين جاهدوا وصبروا وتحملوا من أجل أن ينتصر الحق على الباطل، وهذه سنة الله في هذا الكون فالله تعالى يورث هذه الأرض الأصلح فإذا فرط فيها أخذها منه إلى من هو أصلح منه. قال تعالى في الحديث عن قصة موسى -عليه السلام-: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾[سورة الأعراف: آية ١٢٨-١٢٩].

وفعلاً كانت هذه الغزوة آخر غزوة للنبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه بالمدينة، فكان بعدها يغزو ولا يغزى كما قال -صلى الله عليه وسلم-: "اليوم نغزوهم ولا يغزونا" (٧٧)

---

(٧٧) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٦/٢١١ح٦٣٦٦)، والبيهقي في دلائل النبوة (٤/٣٦ح١٣٣٩)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٨٧٩).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وختم ربنا جل وعلا النتائج بقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ " أي: لا يعجزه شيء، ومن قدرته قدر لكم ما قدر "[٧٨].

وهذا ختام كل جولة مع الباطل، وأهل الباطل، عُلم منها أن الحق دائما هو المنتصر، ولكن النصر لا يأتي ولا يكون إلا لأهله، فيجري الله سبحانه الامتحان والابتلاء لكي يخرج من أهل الحق من ينتسبون إلى أهل الحق، وهم أبعد ما يكونون عن الحق، قال تعالى: ﴿ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [الأنفال: آية ٧-٨].

(٧٨) تفسير السعدي (٦١٠).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخـــاتمـــة

الحمد لله رب العالمين،والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، وبعد؛

بعد هذا العرض لأحداث غزوة الأحزاب من كتاب الله، وبعد هذه المحاولة لاستنباط الفوائد والعظات من هذه الآيات، يمكننا أن نلخص ما ذكرناه في النقاط التالية:

١- دين الله سبحان متين يحتاج لرجال لهم صفات خاصة، خضعوا لاختبارات عملية لتحقيق تلك الصفات، وذلك ليميز الله الخبيث من الطيب.

٢- دين الله تعالى يحتاج إلى تضحيات وصبر وثبات لكي يتحقق في واقع الناس.

٣- الأدعياء ليس لهم مكان في الصف الإسلامي، وليس لهم أن يتشرفوا بوسام النصر مع المؤمنين، فإن الله يظهرهم في الشدائد ويفضحهم ويبين صفاتهم لِيَعْلَمَهُمْ المؤمنون، ثم لِيَمِيزَ المسلمين، ويفرحوا بنصر الله، ويتربوا على شدائد الأمور وعظائم المحن في دار الابتلاء.

٤- يجب على المسلمين أن لا يكونوا آذاناً صاغية لأعداء الدين من المشركين واليهود، وأعوانهم من المنافقين، فإنهم لا يزيدونهم إلا خبالاً، وشكاً، وإرجافاً، وغدراً، وخيانة.

٥- النبي -صلى الله عليه وسلم- هو القدوة العملية في كل شئون الحياة، وهذا يتضح بجلاء في تلك الغزوة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٦- إن أعظم أسباب الثبات في الملمات والمهام الجسام هو حسن الاقتـداء والسير على أثر الحبيب -صلى الله عليه وسلم- فهو القائد لمـصلحة الدنيا والدين.

٧- الغدر ليس له فلاح، وليس له نجاح، بل الخزي والعار والدمار، مهمـا كانت المبررات والوعود الزائفة.

فهذه هي أبرز الأمور التي أراد الله تعالى أن يبثها لنا في ثنايا الآيـات عند الحديث عن غزوة الأحزاب وليبين لنا مدى ما بذلـه الرسـول - صلى الله عليه وسلم- من الجهد والمشقة في إيصال هذا الدين لنا.

فالله أسأل أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل وأن يستعملنا ولا يستبدلنا، وأن يمن علينا باتباع المنهج القويم والصراط المستقيم، وأن يعيذنا من النفاق وأهله، ومن أهل الغدر وغدرهم، وأن يجعلنا عند البلاء من الصابرين، وعند السراء من الفائزين الشاكرين.

كما أسأله سبحانه أن يغفر ذنبنا ويجير تقصيرنا وأن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

- البداية والنهاية – الحافظ ابن كثير الدمشقي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١(١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م).

- تاريخ الأمم والملوك – محمد بن جرير الطبري – دار الكتب العلمية – بيروت –١٤٠٧هـ.

- تفسير القرآن العظيم – إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي – تحقيق سامي بن محمد السلامة – دار طيبة للنشر والتوزيع – ط١ (١٤١٨هـ-١٩٩٧م).

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – عبد الرحمن بن ناصر السعدي – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط١(١٤١٦هـ-١٩٩٦م).

- جامع البيان عن تفسير آي القرآن – محمد بن جرير الطبري- تحقيق د/ عبدالله بن عبد المحسن التركي – مركز البحوث والدراسات الإسلامية – القاهرة –ط١(١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م).

- الجامع لأحكام القرآن – محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي- دار الكتاب العربي.

- السيرة النبوية – ابن هشام – تحقيق مصطفى السقا- مؤسسة علوم القرآن (دمشق بيروت)- دار القبلتين للثقافة الإسلامية – جدة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- السيرة النبوية الصحيحة – د/ أكـرم ضـياء العمـري – مكتبـة العبيكان– ط٣–(١٤١٨).

- صحيح البخاري – محمد بن إسماعيل البخـاري – بيـت الأفكـار الدولية للنشر والتوزيع – الرياض – (١٤١٩هـ–١٩٨٩مـ)– اعتناء أبو صهيب الكرمي.

- صحيح مسلم – مسلم بن الحجاج النيسابوري – بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع – الرياض – (١٤١٩هـ–١٩٨٩مـ)– اعتنـاء أبـو صهيب الكرمي.

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري – أحمد بن علـى بـن حجـر العسقلاني – ترقيم وتبويب محمد فؤاد عبد الباقي – دار الريان للتراث – القاهرة – ط١(١٤٠٧هـ–١٩٨٦مـ).

- فقه السيرة – الغزالي – تعليق الشيخ الألباني – دار إحياء التـراث العربي – بيروت.

- في ظلال القرآن – سيد قطب – دار العلم للطباعة والنشر – جدة – ط١٢(١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م).

- لسان العرب – ابن منظور – دار صادر – بيروت.

- دلائل النبوة – أحمد بن الحسين البيهقـي – دار الكتـب العلميـة – بيروت– ط١(١٤٠٥هـ).

- مجمع الزوائد – على بن أبي بكر الهيثمي – دار الريان للتـراث و دار الكتب العلمية – القاهرة، بيروت.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- المحرر الوجيز في الكتاب العزيز – عبد الحق بن عطية الأندلسي- مؤسسة دار العلوم- الدوحة – ط١(١٣٩٨هـ- ١٩٧٧م).

- مختار الصحاح – محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي- تحقيق: محمود خاطر – مكتبة لبنان – بيروت- ١٤١٥هـ.

- مرويات غزوة الخندق – د/ إبراهيم بن محمد المدخلي – الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة- ط١(١٤٢٤هـ).

- مسند أبي عوانة – أبي عوانة يعقوب بن إسحاق الأسفرائيني - تحقيق أيمن الدمشقي – دار المعرفة – بيروت – ط١(١٩٩٨).

- مشكاة المصابيح- محمد بن عبد الله التبريزي- المكتب الإسلامي- بيروت- ١٤٠٥هـ.

- معجم البلدان – ياقوت بن عبد الله الحموي – دار الفكر- بيروت.

- المعجم الكبير – سليمان بن أيوب الطبراني – مكتبة العلوم والحكم - الموصل ١٤٠٤هـ.

- من موضوعات سور القرآن – سورة الأحزاب – عبد الحميد محمود طهماز – دار القلم دمشق – الدار الشامية بيروت –ط١(١٤١٢هـ- ١٩٩٢م).

- الموسوعة الحديثية – مسند الإمام أحمد – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط١(١٤١٨هـ-١٩٩٧م)- بإشراف المحقق الشيخ شعيب الأرنؤوط.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- النهاية في غريب الحديث- أبو السعادات المبارك بن محمد الجوزي- المكتبة العلمية – بيروت- ١٣٩٩هـ.

- التحرير والتنوير – محمد الطاهر ابن عاشور – الدار التونسية للنشر – ط(١٩٨٤م).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner